



{قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ فَاطِرَةً أَمْراً حَتَّى
تَشْهَدُونِ}.

إنَّ المستشار الذي ترتعد فرائضه في حضرة (القائد الصَّورة) عندما يهْمُ بالإدلاء برأيه، لا تنتظر منه رأياً حصيماً ابداً، ولا تثق بحسن ما يعرضه، فمثلُ هذا المستشار لا يفكّر بالتّعارض مع توجهات الرّعيمة ابداً.

إنّه عادةً يقرأ أفكاره من نظراته وحركاته ثمّ يعيدها له بصيغ وقوالب الوازنها زاهية واشكالها جميلة!

إنّه يستنسخ أفكاره ويُعيدها عليه!

ولذلك أوصى رسول الله (ص) أمير المؤمنين (ع) من بين مَنْ لا يستشيرهم بقوله: {يا عليّ لا تُشاور

جباناً فإنه يُضيق عليك المخرج}.

كما أوصى أمير المؤمنين (ع) مالكاً بالشَّيءِ زَفْسَهُ بقوله في عهده اليه عندما وَّلاه مصر {وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ... جَبَانًا يُضَعِّفُكَ عَنِ الْأُمُورِ}.

ينبغي أن يكون المستشارُ شجاعاً ليقولَ رأيهُ بشجاعةٍ وحرِّيَّةٍ بعيداً عن أيِّ نوعٍ من أنواع الرُّهبة والخوف والتردد، خاصَّةً عندما يحتاجُ الموقفُ الى استشارةٍ جريئةٍ فيها شيءٌ من المغامرة، سواء لمعالجة الموقف ذاته أو للتعارض مع توجهات المُستشير.

ينبغي ان يكونَ المستشارُ كهدهدٍ سُلَيْمان لا يخاف اذا سُئل، حتى اذا كان جوابهُ صادماً او شاذّاً طبقاً لحسابات الواقع، ولا يَكُونُ كذلك إلا اذا كان واثقاً من خبره او رأيه، فالشاكُّ في دقَّة ما ينقله يُتردّد بطبعه في الإدلاء به، ولما كان الهدد واثقاً من معلومته لذلك نقلها بكلِّ أمانةٍ وشجاعةٍ، قائلاً {أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ بِنَدِيٍّ يَقْرِين}.

وما كان الهدد ليجرؤ على ذلك لو لم يكن متيقِّناً من أن نبيَّ اٍ سُلَيْمان (ع) يُحبُّ الصَّراحة والوضوح وشجاعة المستشار، فلا و كان زُوع الزعماء الذين يُحبُّون الممتلِّقين لأخفى عنه الهدد النِّبأ مهما كان خطيراً.

إمّا من جانب المُستشير فالواجبُ عليه أن لا يستعجل إصدار الحكم على ما يسمعه من المستشار فيشكُّ بالمعلومة قبل التثبُّت ويردُّ الرأى قبل المناقشة، مهما كان الخبرُ صادماً والرأى غريباً على مسامعه! فان ذلك يخلق جواً من الرُّهبة والخوف يُساهم في قمع حريَّة التَّفكير والتَّعبير، ولا يساعد في تكريسهما عند المستشارين، ففي قصَّة الهدد فعلى الرُّغم من أن نبيَّ اٍ سليمان (ع) آتاه اٍ من الملك ما لم بأتِ أحداً من العالمين وسخَّر له كلَّ ما يسهلُّ عليه الحصول على المعلومة والرأى وغير ذلك من طيرٍ وريحٍ وجنٍّ وكلِّ شيء، فضلاً عن الوحي كونهُ نبيُّ من أنبياء، مع كلِّ هذا الا انَّهُ استوعب قول الهدد ولم يثُر بوجهه فيكذِّبه او يعذِّبه مثلاً او يردِّه او يعاقبه لقوَّة عباراته، بل ردَّ عليه بالقول {سَدَنْظُرُ أَمَدَقَتِ أَمِّمُ كُنْتَ مِنَ الْكَادِبِينَ}.

حتّى لغة التَّشكيك بين المستشار والمستشير ستتلاشى شيئاً فشيئاً مع التَّجربة، او هكذا يجب ان يكون، فاذا ثبَّت للثاني قوَّة رأى الأوَّل ودقَّة اخباره مع مرور الوقت، ونجح الأوَّل في إثبات

قدرةٍ فائقةٍ على حسن استشارتهِ بالخبرةِ المتراكمةِ .

إنَّ التَّشْجِيعَ والْحَثَّ الذي يمارسهُ المُسْتَشِيرُ مع المُسْتَشَارِ يساعِدُ كثيرًا على خلق الأَجْواءِ المناسبةِ لتكريسِ ثقافةِ الشُّورى، ولعلَّ في قصَّةِ ملكةِ سبأ والعلاقةِ الإيجابيةِ المتبادلةِ بينها وبين [المَلَأ] وحثِّها لهم على التَّشاورِ قبلَ القطعِ بالقرارِ، هو الذي نجَّاهُ مملكتها من حربٍ مدمِّرةٍ مثلًا فبقولها لهم {مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى أَسْمَعُ تَشَاهِدُونَ} حثَّ المَلَأُ على أن يفكِّروا بعقلانيةٍ أكبرِ ويُشيروا عليها برأيٍ معتدلٍ ما هدَّأ من روعِها ولذلك لم تهوِّر في قرارها أو تتطرف في رأيها، بل تعاملت مع كتابِ نبيِّ الله ﷺ سليمان (ع) بكلِّ حكمةٍ وحصافةٍ حمت فيها مملكتها ومملكتها .

لقد قدِّم المَلَأُ في هذه القصةِ نموذجًا جيدًا للمُستشارِ المؤتمن الذي يأخذ بنظر الاعتبار الواقعَ ويذكِّر المسؤولَ بنقاطِ القوَّةِ التي يمتلكها ولكنهُ في نفس الوقت لا تعمي قوَّتهُ بصيرتهُ، فما تقول الحكمة، فإنَّ القوَّةَ بلا عقلٍ أو حكمةٍ تهوِّر، فليست القوَّةُ هي التي تنتصر، وإنَّما العقلُ والحكمةُ المدعومةُ بالقوَّةِ، ولقد وردت هذه الحقيقةُ في قوله تعالى: {فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّؤْمِنُونَ وَاللَّهُ كَمَا مَنِ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} .

يَقُولُ القرآنُ الكريمُ متحدِّثًا عن تفاصيلِ قصةِ المَلَأِ مع الملكةِ: {قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو فُؤُوسَةٍ وَأَوْلُو بِأَسَى شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ} قَالَتْ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَافَهُمْ أَهْلًا لَهَا أَذِلَّةً وَكَذَّبَ لِكَيْ يَفْعَلُوا وَإِنَّ رَبِّي لَذِي مُرْسَلَاتٍ إِلَيْهِمْ بِرِهْدِيَّةٍ فَذَاطِرَةٌ بِمَنْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ} .

إنَّ قولًا حقيقيًّا ورأيًا واقعيًّا قدِّمهُ المَلَأُ للملكةِ نزع فتيل الحربِ ولغةِ التهوُّرِ والاستعلاءِ والاعتدادِ بالنفْسِ على حسابِ تحقيقِ الصَّالحِ العامِ، ولو كان أحدهم قد صعَّد الموقفَ ولو بحرفٍ لانتهى قرارُ الملكةِ الى حربٍ تدمِّر المملكةَ ومصالحَ شعبها كما تخيَّلتها في ذهنها {قَالَتْ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَافَهُمْ أَهْلًا لَهَا أَذِلَّةً

ومن هنا تتبين أهمية المستشار في دقة ما يستحضره من رأيٍ ليس على مستوى الفكرة فقط وإنما حتى على مستوى الأسلوب والطريقة التي يُدلي بها رأيه، فكلمة حكيمة من مُستشارٍ تُطفئ نارَ حربٍ عبثيةٍ، وكلمة حمقاء من ذمه تُصبُّ الزيتَ على نارٍ تكادُ ان تشتعل.

وإذا تفقّدنا حالنا اليوم وما يحيطُ به من حروبٍ عبثيةٍ لتيقننا ان الحمقى هم الذين يُشيرون على الزعماء الذين ليس منهم {رَجُلٌ رَشِيدٌ}!

وإذا قارننا بين ملأ الملكة وبين ما عندنا اليوم من مستشارين يتحلّقون حول الزعماء لتيقننا بأننا لا نملك مستشارين وإنما هم عبارة عن حفنةٍ من الابواق همّها إثارة الفتن وشحن الأجواء بكل ما يُثير النزعات الطائفية والعنصرية والمناطقية والحزبية الضيقة، وكل ما يقود الى الفساد وينتهي الى الفشل!

انهم من أهم عوامل الإثارات السلبية التي تملأ الأجواء اليوم، ولذلك ينبغي فضحهم لإبعادهم عن المسؤول، اي مسؤول، وإذا شعرنا بأننا الاخير مستأنس لوجودهم الى جنبه فيجب فضحه هو الآخر، فإلى متى يُتاجر الزعماء بدماء شبابنا؟ الى متى يظلّون يعتاشون على الأثارات السلبية والازمات المتوالدة التي دمّرت البلاد وعرضت العباد الى كل هذه الفتن العظيمة التي تُنذرُ بمخاطرٍ أكبر فأَكبر؟.

ان متابعة القنوات الفضائية الإعلامية لساعاتٍ معدودةٍ سيُشعر المرء بالشحن الطائفي والعنصري والحزبي الضيق الذي يدفع باتجاهه المسؤولون والحلقات الضيقة التي تلتف حولهم، سواءً على صعيد الفكرة او على صعيد الأسلوب في الطرح، المأزوم والمتشجج والملغوم.

...ويظلّ المواطن المسكين يدفع ثمن مبارياتهم الإعلامية دماءً ودموعاً وأيتاماً وأرامل وئكالى ودماراً!.